

صناعة تحليل النُصوص في كتب التجويد والقراءات

"نصُّ تجويديُّ من كتاب النَّشر لابن الجزريِّ أنموذجاً"

د . عادل إبراهيم أبو شعر

Dr. Adel Ibrahim Abushaar

ضمن فعاليات الندوة الدولية للإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى

بإشراف هيئة تدقيق المصاحف والقراءة / رئاسة الشؤون الدينية
بإسطنبول

ما بين 31 أكتوبر- 5 نوفمبر 2018 م. الموافق 22 - 27 صفر 1440 هجري

مدينة بورصة / تركيا

ملخص البحث باللغة العربية

هذه خلاصة مركزة في كيفية تحليل النصوص وصناعتها تكشف عن سلسلة من التجاذبات والتفاعلات في قراءة نصوص علمي التجويد والقراءات، لعلها تنعكس إيجاباً على فهم طريقة تحليل النصوص وسبر أغوارها واكتشاف مكنوناتها ومنهجيتها، وطرائق تفكير أصحابها.

ولم تكف هذه الدراسة بمجرد التنظير، بل لجأت إلى ترجمة التجريد إلى واقع محسوس تتلمسه وتتذوقه، فسألت الضوء على نص تجويدي ورد في كتاب النشر للإمام الكبير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري (ت 833 هـ - 1430 م).

وكان سبب الاختيار لهذا البحث هو قلة الأبحاث التي تتناول نصوص التجويد والقراءات بالتحليل من حيث لغتها ومصطلحاتها وقضاياها. وسبب اختيار كتاب "النشر" من بين كتب ابن الجزري أنه كتاب جامع بين الرواية والدراسة، وله منزلة بين كتب القراءات، ويضم في ثناياه عدداً من علوم القرآن. ويمثل مرحلة الاستقرار والنضج للمعارف التجويدية والقرائية.

وقد خرج البحث بجملة من النتائج منها أن هذه الدراسة المختصرة تقدم نموذجاً عملياً في تحليل النصوص في كتب التجويد والقراءات؛ إذ درست المؤلف حياته ومكانته في عصره وثقافته في الجوانب التي تنعكس على النص، ثم اتجهت إلى تأطير كيفية التحليل من اكتشاف مشكلة النص والفكرة الرئيسة التي يقوم عليها والأفكار العميقة التي يتضمنها، ثم قراءة تحليلية مباشرة له، فقرأه أخرى معمقة له، ثم خاتمة ونتائج، وبالله التوفيق.

جدول المحتويات

4.....	المقدمة
8.....	المبحث الأول: مقدّمات أساسية في تحليل النصوص
8.....	المطلب الأول: تكوين فكرة إجمالية عن صاحب النصّ:
9.....	المطلب الثاني: تكوين فكرة عن الحياة العلمية والقرائية في عصر صاحب النصّ:
10.....	المطلب الثالث: معرفة الكتاب الذي ورد فيه النصّ ومكانته عند العلماء
13.....	المبحث الثاني: التحليل المباشر لنصّ الإمام ابن الجزريّ عن عدد مخارج الحروف
13.....	المطلب الأول: التحليل المباشر للنصّ
13.....	المطلب الثاني: عرض النصّ وتراجم رجاله:
	المطلب الثالث: الأفكار الرئيسية في النصّ، وألفاظه وعبارته، ونقاط الاتفاق والافتراق
15.....	المبحث الثالث: التحليل المعمّق لنصّ ابن الجزريّ عن عدد مخارج الحروف
18.....	المطلب الأول: كيفية بناء النصّ عند الإمام ابن الجزريّ
19.....	المطلب الثاني: اللغة المستعملة في النصّ ووسائل الإقناع والاختيار والترجيح
21.....	المطلب الثالث: تحليل المعلومات الواردة في النصّ
22.....	المطلب الرابع: تقييم النصّ والحكم عليه
26.....	الخاتمة ونتائج البحث
28.....	المراجع
30.....	

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فهذه خلاصة في كيفية تحليل النصوص وصناعتها في كتب علمي التجويد والقراءات القرآنية، تكشف عن سلسلة من التجاذبات والتفاعلات في قراءة نصوصها، ولعلها تنعكس إيجاباً على فهم طريقة تحليلها وسبر أغوارها واكتشاف مكنوناتها ومنهجيتها، وطرائق تفكير أصحابها.

إن النصَّ بأشكاله المتنوعة هو "مدونة حدثٍ كلاميٍّ ذي وظائف متعددة"⁽¹⁾، وهو "شكلٌ لسانيٌّ للتفاعل الاجتماعي"⁽²⁾، أي هو طريقة للتواصل بين بني البشر، تبعاً للمقام الذي جاء فيه وللعلاقات الاجتماعية واللسانية والثقافية والمعرفية التي تحكمه . وهو بهذا الأخير يتعدى مفهوم المفردة اللغوية والجملة النحوية إلى رصد العلائق المختلفة التي تضمُّ الجملَ بعضها إلى بعض، من روابطٍ زمنيةٍ ومكانيةٍ، وتركيبيةٍ، وما يتصل منها بالمضمون خاصة، فيما يسمّى اليوم بـ: "علم لغة النص"⁽³⁾، أو "علم صناعة العلم"، أو "علم إنتاج المعرفة"، قال الدكتور محمد أبو موسى: "والناظر المدقق في كتب علمائنا يرى أنهم كما شرحوا لنا العلم شرحوا لنا أيضاً - ولكن بطريقةٍ أغمض - علم صناعة العلم، وظنّي أنّ ساعةً من نهارٍ مع طلاب العلم في علم صناعة العلم أجدى عليهم من سحابة يومٍ في تحصيل العلم"⁽⁴⁾.

وهذه الدراسة يمكن أن تدخل ضمن الدراسات الأدبية العلمية:

فمن حيث إنها أدبيّة؛ لأن بعض أحكامها غير ثابتة وظنيّة واجتهادية؛ ويمكن أن تشكّل نقيضاً للنصّ العلميّ الذي نلحظه في العلوم التطبيقية كالقوانين الفيزيائية والكيميائية، أعني من حيث الحتمية.

ومن حيث إنها علميّة؛ لأنها قد ترتقي في نصوصها لتشكّل نصّاً علمياً متماسكاً، إن توافرت لديها الأدلة والشواهد المناسبة والاستقراء الذي يصدق على أفرادها.

(1) تحليل الخطاب الشعري - (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، ص 120/119.

(2) انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، ص 18.

(3) أصول المعايير النصية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، عبد الخالق شاهين، ص 48.

(4) المسكوت عنه في التراث البلاغي، محمد محمد أبو موسى، ص 100.

وأىّ طرح علميّ تتعدد فيه الآراء هو – في الحقيقة - يصف انفعالات أذكىء الناس تجاه ما يرونه من ظواهر تحيط بهم، وكيفية قراءتها والحكم عليها، ومن هنا تتعدد قراءات الناس للنصوص بحسب مستوياتهم المعرفية، وبحسب قدرة صاحب النصّ على الإقناع بطروحاته وآرائه. وينطبق هذا القول الفلسفيّ المجرّد على كتب التجويد والقراءات.

ومن هنا لجأت هذه الدراسة - لأغراض التحليل - إلى ترجمة التجريد والتنظير في التحليل إلى واقع تطبيقيّ محسوس تتلمّسه وتتذوقه، فسأطت الضوء على نصّ قصيرٍ من نصوص الإمام ابن الجزريّ رحمه الله تعالى (751 - 833 هـ / 1351 - 1430م).

مشكلة البحث

يجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

1. هل تصلح نصوص علم التجويد مادةً للتحليل؟
2. هل يمكن اكتشاف طريقة المصنّفين في التجويد ومنهجيتهم ولغة كتابتهم من خلال التحليل؟
3. هل يمكن اكتشاف أهداف الكاتب العميقة من خلال التحليل؟
4. إلى أي مدى يمكن الاستفادة من منهجية التحليل في طريقة تعاملنا مع نصوص التراث.
5. هل يمكن لطريقة تحليل النصوص أن تكون رافداً مساعداً لخدمة الطلاب في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، واكتسابهم الخبرة العملية في قراءة النصوص وتحليلها.

سبب اختيار موضوع البحث

كان سبب الاختيار لهذا البحث هو قلة الأبحاث التي تتناول نصوص التجويد بالتحليل المعمّق من حيث لغتها ومصطلحاتها وقضاياها. وسبب اختيار كتاب "النشر" أنه كتاب جامعٌ بين الرواية والدراسة، وله منزلةٌ بين كتب القراءات. ويمثّل مرحلة الاستقرار والنضج للمعارف التجويدية.

حدود البحث

تقع حدود البحث في الفترة الزمنية الواقعة بين: (751 و 833 هـ - 1351 و 1430م)، أي في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري والنصف الأول من القرن التاسع الهجري، وهو العصر الذي نضجت فيه العلوم القرآنية واستقرت

مصطلحاتها. ويتركز موضوعه في تحليل نصّ عن عدد المخارج من خلال كتاب "النشر" للإمام ابن الجزريّ.

أهداف البحث

1. استعمال صناعة تحليل النصوص للكشف عن جانب تأصيليّ من اللّغة العلميّة التي يكتب بها علماء التجويد والقراءات مصنّفاتهم من حيث التقسيم والتفريع، وتناول القضايا والمصطلحات وغير ذلك.
2. اكتشاف مقاييس الترجيح والردّ عند عالم جليلٍ من علماء التجويد والقراءات.
3. الكشف عن الصلة الوثيقة بين معارف علماء العربية ومعارف علماء التجويد والقراءات.

الدراسات السابقة:

هذا التناول في تحليل نصوص القراءات وصناعتها لم أعرّ - فيما اطّلت عليه - على دراسة خاصّة تناولته ، وجملة ما عثر الباحث عليه هو كيفية تحليل النصوص الأدبية وطرائقها، مما هو داخل في بحثي بخطوطه العامة، وخارج عنه بخطوطه وقضاياها الخاصة.

خطة البحث ومنهجيته:

انتظم هذا التحليل في مقدمة وثلاثة مباحث تحتها عدد من المطالب، وهناك خاتمة ونتائج كالآتي:

المقدمة:

وفيها أتناول فكرة البحث، وسبب اختياره، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة عليه إن وجدت، ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: مقدّمات أساسية في تحليل النصوص

وفيها أتحدث عن صاحب النصّ والعوامل المؤثرة في تكوينه العلمي، وعن البيئة التي عاش فيها، والكتاب الذي ورد فيه النصّ وقيّمته العلميّة.

المبحث الثاني: التحليل المباشر لنصّ الإمام ابن الجزريّ عن عدد مخارج الحروف

وفيها أعرض المقصود من التحليل المباشر للنصّ، وأترجم لرجاله، وأستعرض الأفكار الرئيسيّة التي تضمّنها، وأتناول مراتب القارئ للنصّ.

المبحث الثالث : التحليل المعمق لنصّ ابن الجزريّ عن عدد مخارج الحروف

وفيها أعرّض المقصود من التحليل المعمق للنصّ، وكيفية بنائه عند المصنّف وتماسكه والروابط التي تربط بين عناصره وأقسامه، وطريقة العرض والتقسيم والاختيار والترجيح، وتقييم النصّ والحكم عليه بعد التحليل.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

المبحث الأول: مقدمات أساسية في تحليل النصوص

المطلب الأول: تكوين فكرة إجمالية عن صاحب النص:

ومعناه البحث عن المفاصل التي تكشف عن حال صاحب النص وثقافته وتكوينه العلمي، ومكانته العلمية، والمراجع التي يستند إليها، والفترة التي عاشها، ممّا يساعد في تحليل النصّ.

وفي حقّ الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى تعدّ حياته حركةً علمية دؤوبة لا تفتر ولا تهدأ ولا تملّ. ويلاحظ في شخصيته - رحمه الله تعالى - أنّها شخصيّة متكاملة جمعت بين جوانب متعدّدة، ومن مظاهر ذلك :

- 1- النشأة الصالحة من أبويه كانت عاملاً مؤثراً في نبوغه المبكّر وحفظه القرآن العظيم، وقراءته على مشايخ عصره منذ نعومة أظفاره⁽¹⁾.
- 2- جلوسه للإقراء والتدريس في حياة شيوخه مع صغر سنّه⁽²⁾، وشهرته الواسعة، حتى لُقّب بـ : "مقرئ الممالك الإسلامية"⁽³⁾، وبـ : "الإمام الأعظم"⁽⁴⁾، ولا شك أنّ هذا الجلوس قد كوّن لديه خبرة تعليمية، ومملكة نقدية، والتي انعكست آثارها على لغة النصّ الذي بين أيدينا.

(1) من شواهد هذا أنه لمّا كان عمره: 10 سنوات (761 هـ - 1360 م) : تأدّب على الوليّ الصالح أبي عليّ الحسن بن عبد الله السُّروجيّ شيخ أبيه ولازمه نحو ثلاث سنين بإذن والده ، وكان مريباً ومؤدّباً ومقرئاً . وفي سنّ: 11 سنة (762 هـ - 1361 م) : ختم القرآن على الشيخ أبي الحسن القدسيّ (ت794 هـ)، وهو شيخه الثاني بعد والده، قال ابن الجزريّ في جامع الأسانيد ص68: "وأما الشيخ الثاني: وهو أبو الحسن القدسيّ، فهو الذي تلقّيت من لفظه أكثر القرآن العظيم، وختمت عليه ختمة القرآن في سنة اثنتين وستين، وقرأت عليه القرآن العظيم ختمات لا أحصيها... " اهـ . وفي سنّ: 13 سنة (764 هـ - 1363 م) : قرأ على الوليّ الصالح أبي عليّ الحسن بن عبد الله السُّروجيّ، قال ابن الجزريّ في جامع الأسانيد ص69: "وهو شيخ والذي المذكور، فإني قرأت عليه القرآن العظيم بقراءة أبي عمرو بن العلاء من روايته الدوريّ والسُّوسيّ، وحفظت منه إلى أثناء باب الإدغام الكبير من الشاطبية، وهو الذي عرّفني الرموز، وبين لي المصطلح، ولازمي بإذن والدي نحو ثلاث سنين... وكان عبداً صالحاً من أولياء الله تعالى، كثير التلاوة، أظنّ أنه كان يقرأ كلّ يوم ختمة" اهـ . والسبب في أنه قرأ عليه قراءة أبي عمرو أنها كانت هي القراءة السائدة في عصر ابن الجزري (ينظر: غاية النهاية 1/ 292).

(2) من شواهد هذا أنه لمّا كان عمره: (20 سنة) (770 هـ - 1369م): جلس للإقراء تحت قبة النسر من الجامع الأموي سنين، قال ابن الجزريّ في جامع الأسانيد ص51: "وجلس للإقراء في حياة شيوخه وبإذنهم لي في ذلك تحت قبة النسر من الجامع الأمويّ في سنة سبعين وسبعمئة، ولازال الناس بعد ذلك يرحلون إليّ من الغرب، والأندلس، واليمن، والهند، والروم، وبلاد العجم" اهـ . ومن الشواهد أيضاً عن مكانته عند شيوخه ما ذكره ابن بدران في منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص13 أنّه "نظم الهداية في تيمّة العشرة وسماها الدرّة، وله من العُمر ثمانين عشرة سنة ورُبما حفظها أو بعضها بعض شيوخه" اهـ .

(3) ذكره ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب 9/ 298 .

(4) ذكره ابن حجر العسقلانيّ (ت 852 هـ) في إنباء الغمر بأبناء العمر 3/ 467.

- 3- حفظه لأوقاته وشغلها بما ينفع قراءة وإقراءً وتأليفاً، هذا مع شدة البلاء الذي تعرّض له في حياته⁽¹⁾.
- 4- كثرة مؤلفاته وتنوع موضوعاتها في النفع العام والخاص من حديث ولغة وتجويد ودعوة وقراءات وتجويد على حسب حاجة الناس وطلاب العلم⁽²⁾.
- 5- جمعه بين الدين والدنيا والعلم والعمل؛ فالدين: من نشأته الصالحة منذ بداية حياته، والدنيا: عن طريق التجارة والمناصب التي تولاها مما يجعله غنياً عن الناس، والعلم: من كثرة شيوخه ومطالعاته، والعمل: في إقرائه وتقريبه.
- 6- العناية بأسرته: فهو مع كثرة أسفاره وانشغالاته لم ينس واجبه تجاه أبنائه، وحرصه على مشاركتهم في شيوخه، ويتجلى ذلك في الرحلات التي سافر بها مع أولاده للقراءة على المشايخ في الديار المصرية⁽³⁾.
- 7- النفع المتعدّي للمجتمع في إنشاء دور خاصة بتعليم القرآن الكريم كدار القرآن التي أنشأها في دمشق وشيراز⁽⁴⁾.

المطلب الثاني : تكوين فكرة عن الحياة العلمية والقراءة في عصر صاحب النص:

يعرف عن هذا العصر في جانبه السياسي بأنه عصر المماليك، وهم الذين حكموا "مصر وأحيانا الشام والحجاز وغيرها قرابة الثلاثة قرون من الزمان ما بين 648-

(1) من شواهد هذا أنه لما كان عمره: (49 سنة) (798 هـ - 1396م): دخل الروم - لما ناله من الظلم من أخذ ماله بالديار المصرية - فنزل بمدينة (بورصة) دار الملك العادل المجاهد بايزيد بن عثمان؛ لأن الدولة العثمانية اتخذت منها عاصمة أولى لها، قال ابن الجزري في جامع الأسانيد ص54: "فاجتمع بالسلطان الذي سار بعده الركبان بايزيد بن الملك المجاهد مراد بن الملك الغازي أرخان بن عثمان، وكان قد سمع بي قبل ذلك، وهاداني بالمماليك والجواري، مما فتح الله عليه من فتوح طائفة من الكفار، فبالغ في الإنعام والإحسان، والتمس مني الإقامة بدار ملكه، ورثب فوق الكفاية، فقلت: إني لم أجد إلا لأنشر القراءة وينتفع بي من ينتفع ممن لا يقدر على الرحلة إليّ وأعود...". اهـ . وفي هذه السنة شرع في تأليف كتابه النشر في القراءات العشر، ومنظومته طيبة النشر . وانتهى من تأليفه بعد سنة في مدينة "بورصة" التركية المشهورة عام (799 هـ - 1397م) " اهـ . (النشر 469 /2).

(2) من شواهد هذا أنه ألف كتابه النشر لحاجة طلاب القراءات إلى تمييز القوي من الضعيف ، والصحيح من السقيم، كما سيأتي في سبب تأليف الكتاب. وألف كتابه : "الحصن الحصين"، وهو جملة من الأوراد والأدعية؛ رجاء أن يفك الله الحصار المضروب على دمشق. وله كتاب: "أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب"، و"الجوهرة في النحو"، و"الإبانة في العمرة من أجزائه"، و"التكريم في العمرة من التتبع". بنظر: الأعلام للزركلي 45 /7 .

(3) من شواهد عنايته بأولاده أنه في ترجمته لشيوخه أبي العباس ابن السويدي المصري، قال: " قرأت عليه "التيسير"، و"تلخيص أبي معشر" وغير ذلك، وسمعت عليه "الهادي" لابن سفيان، وسمع منه أولادي الثلاثة محمد وأحمد وعلي وغيرهم " اهـ غاية النهاية في طبقات القراء (رقم الترجمة 189) وينظر أيضاً: التراجم: رقم 1629، و3070، و3339، و3345.

(4) الأعلام للزركلي 45 /7 ومعجم المؤلفين 11 / 290 - 291 .

922 هـ (1517-1250م)⁽¹⁾، وقد اعتراه ما يصيب الدول عادةً من حال النشاط والقوة إلى حال الضعف والاهتراء والخمول.

أما الحياة العلمية - وخاصة علوم القراءات والتجويد - فتركزت في مصر والشام بعد سقوط بغداد على يد هولاكو المغولي سنة (656 هـ / 1258م)⁽²⁾. وظهر علماء أفذاذ كالسبكي، وابن كثير المفسر، وسراج الدين البلقيني، ومن القراء: ابن الجندي وابن اللبان وغيرهم، ونرى ذلك واضحاً في سفر الإمام ابن الجزري إلى مصر للقراءة على مشايخها، بل وتولي القضاء فيها .

المطلب الثالث: معرفة الكتاب الذي ورد فيه النص ومكانته عند العلماء

ويتضمن:

أولاً : سبب تأليف الكتاب ومقدار الجهد المبذول في تأليفه:

هذا الكتاب يعنى بعلم القراءات، وغرض المؤلف فيه هو الجمع على القراءات الصحيحة وقصورُ الهمم في تحصيلها كما صرح بذلك في مقدمته⁽³⁾. أمّا عن الجهد المبذول في تأليفه فقد ذكر ابن الجزري أنه استقصى الغاية في جمعه وتحريره؛ بل إنه جعل حياة علم القراءات به⁽⁴⁾.

ثانياً : العلوم التي احتواها كتاب النشر ومكانته العلمية:

(1) ينظر: الممالك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام، شفيق جاسر أحمد محمود.

(2) ينظر: الأيوبيون بعد صلاح الدين، علي الصلابي، ص936.

(3) ذكر الإمام ابن الجزري حال علم القراءات في عصره، وما وصلت إليه، فقال في النشر 1/ 54: " وإني لما رأيت الهمم قد قصرت، ومعالِم هذا العلم الشريف قد دُبِرت، وخَلت من أئِمته الأفاق، وأفوت من موقفي يوقف على صحيح الاختلاف والإتفاق، وترك لذلك أكثر القراءات المشهورة، ونسي غالب الروايات الصحيحة المذكورة، حتى كاد الناس لم يبينوا قرآناً إلا ما في الشاطبية والتيسير ولم يعلموا قراءات سوى ما فيهما من النزر اليسير، وكان من الواجب على التعريف بصحيح القراءات، والتوقيف على المقبول من منقول مشهور الروايات، فعمدت إلي أنبت ما وصل إلي من قراءاتهم، وأوثق ما صح لدي من رواياتهم، من الأئمة العشرة قراء الأمصار، والمفتدى بهم في سالف الأعصار. اهـ .

(4) قال في النشر 1/ 56: " وجمعتها في كتاب يرجع إليه، وسفر يعتمد عليه، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأئمة حرقاً إلا ذكرته، ولا خلفاً إلا أنبته، ولا إشكالاً إلا بينته وأوضحته، ولا بعيداً إلا قرنته، ولا مفرقاً إلا جمعته وربنته، منبهاً على ما صح عنهم وشد، وما انفرد به مفرداً وقد، ملترماً للتحرير والتصحیح والتضخيف والترجيح معتبراً للمتابعات والشواهد، رافعاً إنبهم التركيب بالعرز والمحقق إلى كل واحد جمع بين طرق الشرق والغرب، قرؤى الوارد والصادر بالغرب، وانفرد بالإنفان والتحرير، واستملم جزء منه على كل ما في الشاطبية والتيسير؛ لأن الذي فيهما عن السبعة أربعة عشر طريقاً، وأنت ترى كتابنا هذا حوى ثمانين طريقاً تحقياً، غير ما فيه من فوائد لا تحصى ولا تحصر، وفرايد دجرت له فلم تكن في غيره تذكر، فهو في الحقيقة نشر العشر، ومن رعم أن هذا العلم قد مات قيل له حي بالنشر " اهـ .

ضمَّ كتاب النشر في ثنياه عدداً من العلوم أهمها:

1. معرفة علم الرجال وطرقهم وسلاسلهم.
2. منهج ابن الجزري في الاختيار وما رواه بطريق الأداء وما رواه رواية. وما يكون أداءً ثم ينقطع فيصير رواية... إلخ.
3. علم التجويد؛ لأن النشر يمثل مرحلة النُّضج والاستقرار للمعارف التجويدية، ومن أجل ذلك اختير نصُّ منه بغرض التحليل.
4. القوانين والقواعد التي يضعها ابن الجزري في ثنياه الجمل والعبارات.
5. علم مصطلح الحديث لفهم المصطلحات كالاختبار والشواهد والمتابعات... إلخ⁽¹⁾.
6. علم القراءات متواترها وشاذها وضوابط الانفراد عنده ومنهج الترجيح عند الإمام ابن الجزري والتحليل وقياس الأشباه والنظائر والتنبيهات في أواخر الأبواب والمصطلحات والتعريفات ونقل الأقوال.
7. التحريرات المعلنة والمضمَّنة - وهذا لوحده كافٍ في ظهور الشَّيب ودونه خرطُ القناد - ومن ثمَّ نشوء مدارس التحرير حول الأصول التي اعتمد عليها... إلخ.
8. علم الوقف والابتداء وما يتعلق به وضوابط الوقف الصحيح والتعسفي المكروه المذموم.

إلى غير ذلك من العلوم والفوائد واللطائف التي تظهر هندسةً عجيبةً في عمارة الكتاب.

ويعدُّ هذا الكتاب عمدة القراء في العصور التي تلت الإمام ابن الجزري إلى عصرنا هذا، قال ابن العماد الحنبلي (1089 هـ / 1679م) متحدثاً عن الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى: "وبالجملة فإنه كان عديمَ النظير، طائر الصَّيِّت. انتفع الناس بكتبه وسارت في الآفاق مسير الشمس"⁽²⁾.

وقد لخصَّ مكانته الإمام عليُّ الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية السابق (ت 1380 هـ - 1961م) بقوله: "فإن كتاب (النشر في القراءات العشر) سيفٌ جلَّ قدره، وفاح بين الأنام عطره، وعزٌّ على الزمان أن يأتي بمثله. وعجزت الأقلام عن حصر فضله، فهو كتاب حقيقٌ أن تُشدَّ إليه الرِّحال، لما حواه من صحيح النُّقول وفصيح الأقوال، جمع فيه مؤلفه - رحمه الله تعالى - من الروايات والطرق ما لا يعنونه

(1) هذه ثلاثة مصطلحات عند أهل الحديث وهي: الاعتبار والمتابعات والشواهد، فالاعتبار أن تأتي إلى حديث لبعض الرواة فتعتبره بروايات غيره من الرواة بسبب طرق الحديث، ليعرف هل شاركه في ذلك الحديث راوٍ غيره عن شبيهه أم لا؟ فإن شاركه أحدٌ ممن يُعتبر بحديثه بسبب تابعاً. وإن لم يكن شريكاً يُنظر هل أتى حديثٌ آخر بمعناه؟ فإن أتى سميَّ شاهداً اه ينظر تريب الراوي 1 / 241 وما بعدها.

(2) شذرات الذهب 9 / 299.

وَهُنَّ، وَلَا يَتَطَّرَقُ إِلَيْهِ شَكٌّ وَلَا طَعْنٌ، عَلَى تَوَاتُرِ مُحْكَمٍ، وَسَنَدٍ مُتَّصِلٍ مَعْلَمٍ، فَهُوَ
الْبَقِيَّةُ الْمُغْنِيَّةُ فِي الْقَرَاءَاتِ، بِمَا حَوَاهُ مِنْ مُحَرَّرِ طَرُقِ الرَّوَايَاتِ. وَهُوَ الْبُسْتَانُ الْجَامِعُ
وَالرُّوْضَةُ الزَاهِيَّةُ، وَالْإِرْشَادُ النَّافِعُ وَالتَّذْكَرَةُ الْوَاقِيَّةُ. هَذَا إِلَى مَا انطوى فِي ثَنَائِهِ مِنْ
عُلُومِ الْأَدَاءِ، الْجَارِيَةِ فِي فِقهِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَجْرَى الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ، فَمِنْ عِلْمِ
مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا، إِلَى عِلْمِ الْوُقُوفِ وَأَحْكَامِهَا، إِلَى بَحُوثِ فِي الْإِدْغَامِ،
وَالهَمْزَاتِ وَالْيَائِنِ، وَالْفَتْحِ وَالْإِمَالَةِ وَالرَّسْمِ، وَفَنِّي الْإِبْتِدَاءِ وَالخْتَمِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ:
مَعَانٍ يَجْتَلِيهَا كُلُّ ذِي بَصَرٍ... وَرَوْضَةٍ يَجْتَذِبُهَا كُلُّ ذِي أَدَبٍ، فَهُوَ سِفْرٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ
نَاطِقٍ فِيهِ: مِنْ قَارِيٍّ وَأَدِيبٍ وَمُؤَرِّخٍ وَفَقِيهِ. وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْكِتَابُ مَجْمَعِ الطَّرُقِ
الْمُتَوَاتِرَةِ عَنِ رِوَاةِ الْقَرَاءَاتِ الْعَشْرِ: كَانَ حَقًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ عُمُومًا وَجَمَاعَاتٍ حِفَافِ
الْقُرْآنِ خُصُوصًا مِنْ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ. أَنْ يَبَادِرُوا إِلَى حِفْظِ هَذِهِ الْبَقِيَّةِ الْبَاقِيَّةِ. وَيَسْعُوا
إِلَى اقْتِنَاءِ هَذِهِ الدَّرَّةِ الصَّافِيَّةِ"⁽¹⁾.

(1) مقدمة تحقيق النشر للشيخ علي محمد الضباع 2/1.

المبحث الثاني: التحليل المباشر لنص الإمام ابن الجزري عن عدد مخارج الحروف

المطلب الأول: التحليل المباشر للنص

ونعني بالتحليل المباشر للنص ثلاثة أمور :

الأول: القراءة السليمة للنص: والمقصود بها أن تكون لدى قارئ النص ثقافة لسانية خاصة في علوم العربية تُمكنه من قراءة النص بطريقة سليمة يتم فيها استعراضه كاملاً من قبل القارئ، والغرض من ذلك تكوين فكرة إجمالية عنه، وعن طريقة مؤلفه في العرض، والموضوعات التي تطرّق إليها. وهنا أشير إلى ملحظ مهم، وهو أنه ينبغي للمحلل أن لا يعتمد على المطبوع إن كان بلا تحقيق، أو أن يسلم للمحقق تحقيقه. وهناك شواهد كثيرة من أخطاء الكتب والتحقيق التي تطالعنا بها المكتبات التجارية كل يوم. وكذا الأمر حاله في النشر الإلكتروني للكتب – المكتبة الشاملة مثلاً. (ومن أقرب الأمثلة في مكتبة الشاملة: "كتاب النشر"، حيث هو مليء بالتصحيح والتحريف والسقط. مما يجعل المكتبة الشاملة وسيلة مساعدة في البحث عن المعلومة، غير آمنة في النقل والتوثيق).

الثاني: اكتشاف الأفكار الرئيسة من النصوص: والغرض من ذلك أن يصير بإمكاننا تكوين أفكار عن النص وربطها بما نعرفه من معلومات سابقة، تكون إما شبيهة بما نستنتجه من أفكار، أو متناقضة معها، أو ناقدة لها، فيما يسمّى: "موقف القارئ" في علم لغة النص.

الثالث: محاولة كتابة أسئلة تنقدح في ذهن أثناء قراءته .

المطلب الثاني : عرض النص وتراجم رجاله:

قال الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى :

"أَمَّا مَخَارِجُ الْحُرُوفِ: فَقَدْ اِخْتَلَفُوا فِي عَدِّهَا:

فَالصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَّا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ: كَالْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ (1) وَمَكِّي بْنِ أَبِي طَالِبٍ (1) وَأَبِي الْقَاسِمِ الْهُدَلِيِّ (2) وَأَبِي الْحَسَنِ شَرِيحٍ (3) وَغَيْرِهِمْ، سَبْعَةَ عَشَرَ

(1) الخليل (169هـ - 786م): الخليل بن أحمد الفراهيدي أبو عبد الرحمن : ولد سنة 100 هـ الإمام، صاحب العريبيّة، ومُنشئ علم العروض، البصري، أحد الأعلام. حدّث عن: أيوب السخيتاني، وعاصم الأحول، والعمام بن

مَخْرَجًا، وَهَذَا الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الْإِخْتِبَارِ، وَهُوَ الَّذِي أَتَتْهُ أَبُو عَلِيٍّ ابْنُ سَيْنَا (4) فِي مُؤَلَّفِ أَفْرَدَهُ فِي مَخَارِجِ الْحُرُوفِ وَصِفَاتِهَا.

وَقَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّحَاةِ وَالْقُرَّاءِ: هِيَ سِتَّةٌ عَشَرَ فَأَسْقَطُوا مَخْرَجَ الْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ، وَجَعَلُوا مَخْرَجَ الْأَلْفِ مِنَ أَفْصَى الْحَلْقِ، وَالْوَاوِ مِنْ مَخْرَجِ الْمُتَحَرِّكَةِ وَكَذَلِكَ الْيَاءِ.

وَذَهَبَ قُطْرُبٌ (5) وَالْجَرَمِيُّ (1) وَالْقُرَّاءُ (2) وَابْنُ دُرَيْدٍ (3) وَابْنُ كَيْسَانَ (4) إِلَى أَنَّهَا أَرْبَعَةٌ عَشَرَ، فَأَسْقَطُوا مَخْرَجَ النُّونِ وَاللَّامِ وَالرَّاءِ وَجَعَلُوهَا مِنْ مَخْرَجِ وَاحِدٍ، وَهُوَ طَرْفُ اللِّسَانِ.

حَوْشِبٌ، وَعَالِبُ الْقَطَّانِ. أَخَذَ عَنْهُ: سَبْيُوهُ النَّحْوِ، وَالنَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ، وَهَارُونَ بْنُ مُوسَى النَّحْوِيُّ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ، وَالْأَصْمَعِيُّ، وَأَحْزُونَ. وَكَانَ رَأْسًا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، دَيْتًا، وَرِعَاءً، قَانِعًا، مُتَوَاضِعًا، كَبِيرَ الشَّانِ. وَكَانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مُفْرَطَ الذِّكَاءِ. تُوْفِيَ سَنَةَ بَضْعِ وَسْتَيْنِ وَمِنَّةَ. (سير أعلام النبلاء 429/7).

(1) مكي (437 هـ - 1046م): مكي بن أبي طالب حموش بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الْقَيْسِي النَّحْوِيُّ الْمُقْرِيَّ صَاحِبِ الْإِعْرَابِ. وُلِدَ فِي شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِينَ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْقَبْرِوَانِ، وَسَكَنَ قَرْطَبَةَ، وَسَمِعَ بِمَكَّةَ وَمِصْرَ مِنْ أَبِي الطَّيِّبِ عَبْدِ الْمُنْعَمِ بْنِ غَلْبُونَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ؛ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ التَّبَحُّرِ فِي غُلُومِ الْقُرْآنِ وَالْعَرَبِيَّةِ، حَسَنَ الْفَهْمِ وَالْخُلُقِ، جَيِّدَ الدِّينِ وَالْعَقْلِ، كَثِيرَ التَّأْلِيفِ، مَجُودًا لِلْقُرْآنِ. أَقْرَأَ بِجَامِعِ قَرْطَبَةَ، وَخَطَبَ بِهِ؛ وَانْتَفَعَ بِهِ جَمْعٌ، وَعَظَّمَ اسْمَهُ، وَاشْتَهَرَ بِالصَّلَاحِ وَإِجَابَةِ الدَّعْوَةِ؛ صَنَّفَ: الرِّعَايَةَ فِي التَّجْوِيدِ، إِعْرَابَ الْقُرْآنِ، الْمَوْجِزَ فِي الْقُرْآنَاتِ، التَّبَصُّرَةَ فِيهَا، الْهُدَايَةَ فِي التَّفْسِيرِ، الْوَقْفَ عَلَى كَلَا، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةً فِي الْقُرْآنَاتِ. مَاتَ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ سَبْعٍ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِينَ (بغية الوعاة 298/2).

(2) الهذلي (403 هـ - 1013م): أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري - نسبة إلى بسكرة من إقليم الزاب الصغير في الجزائر - الصريز المقرئ النحوي: كان عالما بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصبهان، وطوّف البلاد في طلب القراءات، وقدم بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره، وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النحو، وسمع بأصبهان من الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الإصبهاني، وبنيسابور من أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف. وقرّره نظام الملك في مدرسته ببنيسابور مقرنا سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فاستمر بها إلى أن توفي. ومن تصانيفه الكامل في القراءات وغيره. وكانت ولادته سنة ثلاث وأربعمائة ومات سنة خمس وستين وأربعمائة عن ثلاث وستين سنة. (معجم الأدباء 2849/6).

(3) شريح (451 هـ - 1060م): شريح بن مُحَمَّد بن شريح الرعيني الإشبيلي، أبو الحسن، مقرئ إشبيلية وخطيبها، محدث أديب مشهور، يروي عن أبيه محمد وأبي عبد الله بن منظور، وأبي محمد بن حزم، وأبي محمد بن خزرج، وأبي محمد البلجي، وأبي مروان بن سراج وغيرهم، وتوفي بإشبيلية في جمادى الآخرة سنة سبع وثلثين وخمسائة [ومولده بإشبيلية] لخمس بقين من ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة، وله تاليف تدل على معرفته وتقدمه في صناعة الإقراء وغير ذلك. (بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس 318/1).

(4) الرئيس ابن سينا (370 - 428 هـ = 980 - 1037 م): الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات والالهييات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلّم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتواری. ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه. وعاد في أواخر أيامه إلى همدان، فمرض في الطريق، ومات بها. ومن تصانيفه: القانون في الطب والمعاد، رسالة أسباب حدوث الحروف، رسالة في الحكمة، و الشفاء في الحكمة، والسياسة وأسرار الحكمة المشرقية وأرجوزة في المنطق وغيرها. (الأعلام للزركلي 241/2).

(5) قطرب (206 هـ - 822م): أبو علي محمد بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، مولى سالم بن زيادة، المعروف بقطرب؛ أخذ الأدب عن سيويه وعن جماعة من العلماء البصريين، وكان حريصا على

وَالصَّحِيحُ عِنْدَنَا: الْأَوَّلُ؛ لِيُظْهِرَ ذَلِكَ فِي الْإِخْتِبَارِ" (5). انتهى النص.

المطلب الثالث : الأفكار الرئيسية في النص، وألفاظه وعبارته، ونقاط الاتفاق والافتراق

أولاً : ما الأفكار الرئيسية في النص؟

الاشتغال والتعلم، وكان يبكر إلى سيبويه قبل حضور أحد من التلامذة، فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل، فبقي عليه هذا اللقب، وقطرب: اسم دويبة لا تزال تدب ولا تقتر، وكان من أئمة عصره؛ وله من التصانيف، أهمها: كتاب معاني القرآن وكتاب الاشتقاق. وهو أول من وضع المثلث في اللغة، وكتابه وإن كان صغيراً لكن له فضيلة السبق، وما نهج لهم الطريق إلا قطرب المذكور. وتوفي سنة ست ومائتين (وفيات الأعيان 312/4).

(1) أبو عمر الجرمي (225 هـ - 840 م): صالح بن إسحاق الجرمي النحوي؛ كان فقيهاً عالمياً بالنحو واللغة، وهو من البصرة وقدم بغداد، وأخذ النحو عن الأخفش وغيره، ولقي يونس بن حبيب ولم يلق سيبويه، وأخذ اللغة عن أبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والأصمعي وطبقتهم. وكان ديناً ورعاً حسن المذهب صحيح الاعتقاد، روى الحديث، وله في النحو كتاب جيد يعرف بـ " الفرخ "، معناه فرخ كتاب سيبويه، وناظر ببغداد الفراء. وقال المبرّد أيضاً: كان الجرمي أثبتّ القوم في كتاب سيبويه، وعليه قرأت الجماعة. وكان عالمياً باللغة حافظاً لها، وله كتب انفرد بها، وكان جليلاً في الحديث والأخبار، وله كتاب في السير عجيّب، وكتاب " الأبنية "، وكتاب العروض، ومختصر في النحو، وكتاب " غريب سيبويه " .. وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائتين . (وفيات الأعيان 485/2).

(2) الفراء (144 - 207 هـ = 761 - 822 م): يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكريا، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. ومن كلام ثعلب: لولا الفراء ما كانت اللغة. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وعهد إليه المأمون بتربية ابنه، فكان أكثر مقامه بها، وتوفي في طريق مكة. وكان مع تقدمه في اللغة فقيهاً متكماً، عالمياً بأيام العرب وأخبارها، من كتبه " المقصور والممدود " و " المعاني " ويسمى " معاني القرآن " أملاه في مجالس عامة كان في جملة من يحضرها نحو ثمانين قاضياً، و " المذكر والمؤنث " وكتاب " اللغات " و " الفاخر " في الأمثال، و " ما تلحن فيه العامة " و " آله الكتاب " و " الأيام والليالي "، و " اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف "، و " الجمع والتنثية في القرآن " و " الحدود " ألفه بأمر المأمون، و " مشكل اللغة ". (الأعلام للزركلي 145/8).

(3) ابن دريد (321 هـ - 933 م): أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اللغوي البصري إمام عصره في اللغة والأدب والشعر الفائق؛ ولا بن دريد من التصانيف المشهورة كتاب " الجمهرة "، وهو من الكتب المعتمدة في اللغة، وله كتاب " الاشتقاق "، وكانت ولادته بالبصرة في سكة صالح سنة ثلاث وعشرين ومائتين، ونشأ بها وتعلم فيها، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني والرياشي وعبد الرحمن بن عبد الله المعروف بابن أخي الأصمعي وأبي عثمان سعيد بن هارون الأشناداني صاحب كتاب المعاني وغيرهم، ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين عند ظهور الزنج وقتلهم الرياشي، وسكن عُمان، وأقام بها اثنتي عشرة سنة، ثم عاد إلى البصرة وسكنها زماناً، ثم خرج إلى نواحي فارس ثم انتقل من فارس إلى بغداد، توفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة ببغداد (وفيات الأعيان 323/4).

(4) ابن كَيْسَانَ (000 - 299 هـ = 000 - 912 م): محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الحسن، المعروف بابن كيسان: عالم بالعربية، نحواً ولغة، من أهل بغداد. أخذ عن المبرّد وثعلب. من كتبه " تلقيب القوافي وتلقيب حركاتها " و " المهذب " في النحو، و " غلط أدب الكاتب " و " غريب الحديث " و " معاني القرآن " و " المختار في علل النحو ". (الأعلام للزركلي 308/5).

(5) النشر 199/1.

يتحدّث النصُّ بشكلٍ إجماليٍّ عن عدد مخارج الحروف، ويتناول ثلاثة أفكار رئيسية:

الأولى: انقسام العلماء في عدد مخارج الحروف إلى ثلاث فرق.

الثانية: الاختلاف في عدد المخارج بين العلماء: (17 مخرجاً - 16 مخرجاً - 14 مخرجاً).

الثالثة: طريقة الإمام ابن الجزري في العرض والتقسيم والترجيح .

ثانياً : ما الألفاظ والعبارات الغامضة في النصِّ؟ وإلى أي مدى يُتفق مبدئياً مع معلوماته؟

يتفاوت فهمُ الناس للألفاظ والمصطلحات واللغة العلمية المكتوب بها النصُّ حسب رصيدهم المعرفيِّ، قال الخفاجيُّ: "لأن في الألفاظ مواضعاً واصطلاحاً يختلف الناس في المعرفة بهما بحسب اختلافهم في معرفة اللُّغة، وفهم الاصطلاح والمواضع"⁽¹⁾.

والألفاظ في نصِّ الإمام الجزريِّ - رحمه الله تعالى - واضحة بشكلٍ عامٍّ لمن شدا شيئاً من علم العربية والتجويد، لكن في مثل هذه النُّصوص، ونظراً لحال القارئ - أقصد المبتدئ والمنتهي - يُفترح وضع نسبة للاتفاق المبدئيِّ مع معلومات النصِّ كالآتي:

أ - **نسبة الاقتصار (للمبتدئين)**، وتشكل نسبةً ضعيفةً من فهم النصِّ تصل إلى 30 % : ويكون فيها صاحبها مقتصراً على موضوعات العلم الكليّة وأمثله العامة دون أن يخوض في مسأله التفصيلية. ويكون هذا للمبتدئ في تعلم العربية والتجويد أو لغير المتخصِّص، وليس له أدنى فكرة عمّا يُخبر به النصُّ.

ب - **نسبة الاقتصاد (للمتوسّطين)**: وتشكل نسبةً متوسّطةً من فهم النصِّ تصل إلى 60 % ويكون فيها صاحبها مقتصداً في موضوعات العلم الكليّة، ومسأله التفصيلية

ج - **نسبة الاستقصاء أو التبحُّر (للمنتهين)**: وهي تمثل مرحلة العالم بالنصِّ وأفكاره. وتشكل نسبةً كبيرةً من فهم النصِّ تصل إلى 90 % فما فوق . ويكون فيها صاحبها متبحراً في موضوعات العلم الكليّة، ومسأله التفصيلية⁽²⁾.

(1) سر الفصاحة ص 226.

(2) هذه المصطلحات الثلاثة: الاقتصار والاقتصاد والاستقصاء هي مراتب العلوم، قال المرعشي: "الكل علم مدوّن ثلاث مراتب: اقتصار - بالراء - واقتصاد - بالبدال - واستقصاء" اهـ. ينظر: ترتيب العلوم للمرعشي الشهير بساجقلي زادة (ت 1145هـ / 1733م) ص 104.

والغرض من ذلك كَلِّه – كما ذكر سابقاً - أن يصير بإمكاننا تكوين أفكار عن النص وربطها بما نعرفه من معلومات سابقة، تكون إما شبيهة بما نستنتجه من أفكار، أو متناقضة معها، أو ناقدة لها، فيما يسمَّى: "موقف القارئ المباشر" في علم لغة النصّ.

ثالثاً : ما هي نقاط الاتفاق والافتراق بين المذاهب التي ذكرها الإمام ابن الجزري ؟

نقطة الافتراق بين المذهب الأول والثاني هي في تعيين مخرج حروف المدّ، وبين الثاني والثالث هي في مخرج اللام والنون والراء، وبين الأول والثالث فيهما؛ أي في حروف المدّ واللام والنون والراء. وأما اتفاق العلماء أو اختلافهم في باقي المخارج فسكت عنه النصّ.

المبحث الثالث : التحليل المعمق لنصّ ابن الجزريّ عن عدد مخارج الحروف

ونعني بالتحليل المعمق للنص هو التذوق السليم للنصّ أو اكتشاف البنية العميقة له، ويتضمّن اكتشاف عدة أمور، منها:

1. كيفية بناء النصّ عند المصنّف وتماسكه والروابط التي تربط بين عناصره وأقسامه.
2. طريقة العرض والتقسيم والاختيار والترجيح.
3. الحكم على النصّ بعد التحليل.

والمقصود من اكتشاف هذه الأمور أن يمتلك القارئ ثقافةً تخصّصيةً في النصّ الذي يتناوله (التبحر فيه)، فهناك معاني معلنة مباشرة صريحة في النصّ، وهي أقلُّ بكثير من المعاني المبطّنة والأفكار العميقة، يعني أن ما يُكتب تلميحًا بين السطور يفوق بكثير ما يُكتب تصريحًا فوق السطور.

وهذه النقطة من الأهمية بمكان، وبها يتميّز طالب العلم المتخصص من غيره، فهناك فرق بين القراءة السطحية للنصّ - والتي تعتمد على الملاحظة المباشرة بشكل رئيس، والدخول عليه بمعلومات مسبقة، والتنظير السطحيّ له، وإصدار الأحكام الجزافية والمتسرّعة وغير الدقيقة في حقه - وبين القراءة المعمّقة له، التي تستدعي التعرف على لغته ومصطلحاته في زمنه واستعمالاته وسبر أغواره وطرائق استدلالاته، وما يستدعيه من معلومات سابقة عليه أو لاحقة به، وبالتالي استنباط الفوائد منه، ومعرفة قيمته، وإصدار حكم عادل في حقه بحسب الوُسع والطاقة .

وكذلك نعني به الانطباع الذي تكوّن عند القارئ بعد ممارسة الخطوات السابقة، والإضافة العلمية والمعرفية التي أضافها النصّ إلى العلم . وحينئذ يكون باستطاعة محلّل النصوص - بواسطة ربط المعاني بعضها ببعض - تقديم تحليل يتميز بالعمق والشمولية والاحترافية والإبداع .

وهذا المبحث بمطالبه متشابكٌ حيّ بملاحظته واستنباطاته، محقّقاً - في غالبه - للمعايير السبعة التي وضعتها بعض الدراسات المعاصرة لتحليل النصوص والحكم عليها، وهي: السبك، والاتحام، والقصد، ورعاية الموقف، والقبول، والتناص، والإعلام.

فالسبك يعني: الكيفية التي يتم بها ربط العناصر اللغوية على مستوى البنية السطحية بحيث يؤدّي السابق منها إلى اللاحق.

والإلتحام: يُقصد به الطريقة التي يتم بها ربط التراكيب على مستوى البنية العميقة للنص.

والقصد: يعني أن النص حدث لغوي مخطّط له، وليس رصفاً للجمل والكلمات.

والقبول: يتضمّن موقف المرسل إليه أو متلقّي النصّ حول توقُّع نصّ متماسكٍ ومتناسقٍ.

ورعاية الموقف: وتشمل العوامل التي تجعل النصّ ذا صلة بموقف حاليّ أو موقف قابل للاسترجاع.

والتناسق: وهو مصطلح نقديّ يُقصد به وجود تشابه بين نصّ وآخر أو بين عدة نصوص.

والإعلام: وهو الرسالة التي يخبر بها النصّ، ويتضمّن قدرًا من المعلومات تختلف طبيعتها باختلاف نوع النصّ، بمعنى هل استعمل المصنّف في جزء من نصوصه الذائقة النقديّة أم الإعلامية الإخبارية أم غير ذلك⁽¹⁾.

المطلب الأول: كيفية بناء النصّ عند الإمام ابن الجزريّ.

أولاً: بناء النصّ عند الإمام ابن الجزريّ وتقسيمه

بنى الإمام ابن الجزريّ نصّه على قسمة ثلاثيّة، فذكر عشرةً من العلماء تصريحاً، وغيرهم تلميحاً، ورّعت أسماءهم في النصّ كالآتي: خمسة علماء للفريق الأول، وخمسة للفريق الثالث، ولم يذكر الإمام ابن الجزريّ اسماً صريحاً لعالم من علماء الفريق الثاني؛ مما يلفت النّظر في السبب الكامن وراء هذا .

وقد أثارَت القسمة الثلاثية لآراء العلماء في عدد المخارج عدداً من التساؤلات، منها:

أولاً: هل العلماء الذين ذكروا في النصّ اشتهروا بعلمي التجويد والقراءات؟

العلماء الذين اشتهروا بالتجويد والقراءات في النصّ هم: مَكِّي بن أَبِي طَالِبٍ، وَأَبُو الْقَاسِمِ الْهُدَلِيّ، وَأَبُو الْحَسَنِ شُرَيْح. والباقون اشتهروا باللغة والنحو، وهم: الْخَلِيل بن

(1) ينظر: أصول المعايير النصية في التراث البلاغي والنقدي عند العرب، عبد الخالق شاهين، ص 21 - 22. وعلم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، ص 145 وما بعدها.

أحمد، وقطرب، والجزمي، والفراء، وابن دُرَيْد، وابن كَيْسَانَ. إلا ابن سينا فإنه اشتهر بالفلسفة والطب والمنطق . وتقدّمت تراجمهم في المطلب الأول.

ثانياً: ما علاقة علماء النحو بعلماء التجويد والقراءات ؟

كل العلماء المذكورين في النصّ - باستثناء الطبيب ابن سينا - هم من علماء العلوم النقلية أو علوم الشريعة⁽¹⁾، وهي: العلوم والفنون التي استحدثها المسلمون خدمة لكتاب ربّهم وسنة نبيّهم من تفسير، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، وتجويد وقراءات... الخ⁽²⁾.

ومن هنا فإنّ علاقة علماء النحو واللغة بعلماء التجويد والقراءات هي علاقة تلازم وتشاركٍ بدليل هذا النص الذي اشترك فيه طوائف من علماء النحو والتجويد، غير أنه يلزم التفريق بين مقاصد كلّ فريق عند ذكره للمعلومات الصوتية، فالذي يظهر أنّ ذكر كتب النحو والصرف للأصوات هو وسيلة لفهم مباحث معيّنة، وليست غايةً بحدّ ذاتها. فأهل العربية ذكروا الظواهر الصوتية في كتبهم لفهم مباحث من علم التصريف، كالإدغام مثلاً، قال سيبويه: "وإنما وصفتُ لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه، وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه، وما تبدّله استتقالاً كما تُدغم، وما تُخفيه وهو بزنة المتحرّك"⁽³⁾.

وأهل المعاجم كالخليل ذكروا الأصوات لغايةً معجميةً فقط، وهي معرفة الكلام العربيّ من غير العربيّ، وتوضيح تأليف كلامهم بدليل صفتي الإذلاق والإصمات اللّتين هما الأساس في تأليف كلام العرب⁽⁴⁾.

وأما أهل التجويد فغايتهم وهدفهم : الأصوات العربية التي نزل القرآن بها .

وجاء ذكر اسم الطبيب الرئيس ابن سينا لافتاً في النصّ، فهو من علماء العلوم العقلية⁽⁵⁾، وهي: العلوم التي استفادها المسلمون نتيجة احتكاكهم بثقافات الأمم

(1) مفاتيح العلوم ص 13 .

(2) العلوم النقلية: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والأدب. انظر: مفاتيح العلوم للخوارزمي ص 13 وتاريخ الإسلام لحسن إبراهيم حسن 2 / 323.

(3) الكتاب 4 / 436 .

(4) الإذلاق والإصمات أصلان كبيران تنضوي تحتها أبنية كلام العرب، وبهما تُكشّف الكلمات العربية الأصيلة من الدخيلة. دلّ عليهما الخليل في معجمه، وذكرهما النحويون والمجودون كأنقسامٍ من انقسامات الحروف، لا على أنهما صفتان من الصفات الصوتية، تماماً كتقسيمهم الحروف إلى صحاح وعِلل، ممّا هو خاصٌّ بأبنية الكلام العربيّ، وهذا مرجّعه إلى علم الصّرف. ينظر: العين 1 / 52 وما بعدها.

(5) ينظر: الملل واليحلّ على هامش الفصل لابن حزم 1 / 32 و 2 / 45 - 46 .

المجاورة، كالتب، والرياضيات، والهندسة، والفلسفة، والموسيقى... الخ. وهذا الأمر يقودنا إلى النقطة الآتية المذكورة في ثالثاً .

ثالثاً : لماذا استعان الإمام ابن الجزري بالطبيب الرئيس ابن سينا في نصرته مذهبه وهو من ليس من علماء التجويد والقراءات؟

أظن أن السبب في ذلك يرجع إلى المكانة العلمية الكبيرة التي احتلها الطبيب ابن سينا في وقته، فكتابه: "القانون في الطب" مثلاً، يُسميه علماء الفرنج: (Canonmedicina) بقي مُعَوَّلًا عليه في الطبِّ ستَّة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم⁽¹⁾. "ولئن كان ابن سينا لُقِّب في الشرق بالشيخ الرئيس، فقد لُقِّب في الغرب بأمير الأطباء. وبلغ من مكانة ابن سينا أن شهد له الأطباء الغربيون بأنَّ حلقة الطبِّ قد اكتملت على يديه، قال الطبيب الأوروبي "دي بور" في تقييم الأطباء المسلمين وتقديرهم: "كان الطبُّ معدوماً فأوجده أبقراط، وميَّناً فأحياه جالينوس، ومُستنَّناً فجمعه الرازي، وناقصاً فأنتمه ابن سينا"⁽²⁾. فإن كان ابن سينا قد احتلَّ هذه المكانة الكبيرة في الشرق والغرب كان حرياً بالإمام ابن الجزري أن يستعين به في نصرته رأيه.

المطلب الثاني : اللغة المستعملة في النصِّ ووسائل الإقناع والاختيار والترجيح

يلاحظ على اللُّغة المستعملة في النصِّ أنها لغة استعملت نوعاً من السُّلطة العلمية النَّاعمة على قارئ النصِّ، واستعان فيها الإمام ابن الجزري بثلاثة طرق من طرائق المعرفة الأربعة لإقناع قارئه؛ **فالتريفة الأولى هي: طريقة التشبُّث**، وفيها يتنبَّث الإنسان بالحقيقة بقوة، وبالإعادة المتكرِّرة للحقائق ممَّا يزيد من الاعتقاد بصحَّتها، ويلاحظ ذلك من قوله ابتداءً: "فَالصَّحِيحُ الْمُخْتَارُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ مَنْ تَقَدَّمَنا مِنَ الْمُحَقِّقِينَ، وَهَذَا الَّذِي يَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الإِخْتِبَارُ"، ثم أعاد العبارة مرةً أخرى في نهاية النصِّ تأكيداً بقوله: "وَالصَّحِيحُ عِنْدَنَا: الأوَّلُ؛ لِيُظْهَرَ ذَلِكَ فِي الإِخْتِبَارِ".

أمَّا الطريقة الثانية فهي: طريقة السُّلطة، والسُّلطة العلمية هي إحدى السُّلطات الهامة في التأثير على قارئ النصِّ، ونقصد بها: دعم قولنا بقول عالم مشهور وقبوله على أنه حقيقة واقعة، ويلاحظ ذلك من نصرته ابن الجزري لرأيه واستعانه بعلماء مشهورين في خدمة رأيه كالخليل ومكي وابن سينا.

(1) انظر: الأعلام للزركلي 2/ 241 - 242 .

(2) انظر موقع: (<http://www.islamset.com>) على الإنترنت.

والطريقة الثالثة هي الطريقة العلمية، فللمعرفة العلمية ضوابط ومعايير تضبط عمل العالم وتوجّه نشاطاته، وتراقب استنتاجاته بقصد التوصل إلى حقائق يمكن الاعتماد عليها⁽¹⁾. ويلاحظ في النصّ استعانة ابن الجزريّ بعدد من المرجّحات العلمية لتقوية موقفه أمام مخالفيه، فمن المرجّحات: توضيحه لنقطة الخلاف مع علماء الفريق الثاني والثالث . واستغلاله لمكانته وشهرته الواسعة وثقة الناس بعلمه وكلامه جعلت كلامه يأتي على هيئة التقرير كاستعانتة بالجمل الاسمية أكثر من الفعلية، والاسم يدلّ على الثبات والاستقرار بخلاف الجمل الفعلية، ولك أن تستنبط دلالة ذلك من قوله في النصّ: "فالصحيح عندنا". وأن هذا الاختيار منه رحمه الله تعالى الذي يعتقد بصحته تخالفه مذاهب أخرى لم يرضها كما هو وارد في النصّ.

والخلاصة أن الإمام ابن الجزريّ استعمل وسائل عدة في سبيل إقناع القارئ بمذهبه:

فأولها: التقرير والترجيح بالصحة والاختبار مرتين: مرة في أول الكلام ومرة في آخره بعد تقرير المذاهب، وثانيها: جعل مذهبه أوّل المذاهب، وثالثها: ذكر أسماء علماء أفاض من علماء العلوم النقلية والعقلية؛ انتصاراً لمذهبه.

المطلب الثالث: تحليل المعلومات الواردة في النصّ

أ - تحليل المعلومات الواردة عن مذهب الفريق الأول (فريق ابن الجزري):

تثير المعلومات الواردة في نصّ ابن الجزري عدداً من التساؤلات، منها:

أولاً : هل عدد المخارج سبعة عشر حقيقةً عند العلماء الذين اختارهم الإمام ابن الجزري لنصرة مذهبه؟

الظاهر أنهم لم يذكروا ذلك ولم يصرّحوا به، فالخليل لم يصرّح بأنها سبعة عشر مخرجاً عند حديثه عن مخارج الحروف في العين⁽²⁾. وبلغت المخارج عنده أحد عشر مخرجاً . فجعل الخليل ثمانية أحياء فرعيةً نسب إليها الحروف الصّحيحة، ونسب الألف والواو الياء إلى الفراغ (الجوف) . ولن ترتقي المخارج التي أوردها الخليل في كتابه بحالٍ لتصل إلى سبعة عشر مخرجاً، كما ذكر الإمام ابن الجزريّ.

(1) هناك طريقة رابعة من طرق المعرفة: هي طريقة المعرفة المبسّطة المسبقة أو الحدس، وتقوم هذه الطريقة على أساس أنّ الحقائق المقبولة حقائق تُثبت نفسها بنفسها، تتفق هذه الحقائق مع العقل، وليس من الضروريّ أن تتفق مع التجريب. ينظر: أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، ص26.

(2) ينظر: العين 1/ 57.

وصرّح مكّي في الرعاية⁽¹⁾ أنها ستة عشر مخرجاً، كسيبويه وأصحابه؛ أصحاب الفريق الثاني.

وذكر أبو القاسم الهذلي في الكامل أن المخارج تسعة: حلقيّة، وحنكيّة، وشجريّة، وأسليّة، ولثويّة، ونطعيّة، وذولقيّة، وشفويّة، ثم جوفية وهوائية، ونقل عن الخليل أنه عدّها ستة عشر مخرجاً⁽²⁾. وأظن أن الذي جعل ابن الجزري يذكر اسمه في النصّ هو قوله في الكامل: " والألف لا يكون إلا ساكناً إذ هو والواو الساكنة والياء الساكنة جوفيان هوائيان؛ لقيت بذلك؛ لامتداد الصوت بها وخروجها من جوف الفم، وقيل: لأنها تخرج من جميع الفم فلم تخصّص بمخرج..."⁽³⁾ اهـ .

وأما ابن سينا فلم يذكر لنا الإمام ابن الجزريّ اسم الكتاب الذي ألفه في مخارج الحروف وصفاتها، ويترجّح أنه يقصد: "رسالة أسباب حدوث الحروف"، ولم يصرّح ابن سينا فيها بأن المخارج سبعة عشر مخرجاً، إنما وصف كل حرفٍ على حدته في كيفية خروجه وما يصاحب ذلك من آليّة، فذكر أن الألف المصوّتة والفتحة مخرجهما مع إطلاق الهواء سلساً غير مُزاحم، وأن الواو المدّيّة والضمة يخرجان مع أدنى مُزاحمةٍ وتضييقٍ للشفّتين... وأن الياء المدّيّة والكسرة تكون المُزاحمةً فيهما بالاعتماد على ما يلي أسفلاً قليلاً⁽⁴⁾. فابن سينا في هذا أقرب ما يكون إلى كلام سيبويه، وليس إلى الخليل، والله أعلم.

ثانياً: إذا كان أكثر العلماء الذين ذكروهم الإمام ابن الجزريّ لم يصرحوا حقيقةً بأن المخارج سبعة عشر، فلماذا نسب إليهم هذا العدد؟

أظن أن الإمام ابن الجزريّ لمّا نظر إلى أن أكثر هؤلاء العلماء جعلوا لحروف المدّ مخرجاً خاصاً، وهو الجوف - ذكر أن المخارج عندهم سبعة عشر مخرجاً تخميناً لا تحقيقاً، بدليل قوله عن علماء الفريق الثاني: "فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية التي هي حروف المدّ واللين، وجعلوا مخرج الألف..."، والله أعلم.

ثالثاً: ما حقيقة مذهب السبعة عشر مخرجاً؟ وما مدى تأثيره؟

الذي يظهر أن مذهب السبعة عشر مخرجاً مذهبٌ جديدٌ ركّبه ابن الجزريّ من مذهبي الخليل وسيبويه؛ إذ أخذ من الخليل فقط نسبته الألف والواو والياء إلى الجوف، وترك باقي المخارج - باستثناء حروف المدّ - كترتيب سيبويه، فتكملت المخارج عنده سبعة

(1) ص144.

(2) ينظر: الكامل /1 /290.

(3) ينظر: الكامل /1 /286.

(4) ينظر: (رسالة أسباب حدوث الحروف ص73 و84 و126).

عشر، وذلك بإضافة الجوف إلى الستة عشر مخرجاً. ولخص الإمام ابن الجزري رأيه هذا في بيت واحد من أبيات الجزرية، وهو قوله رحمه الله تعالى : (مخارج الحروف سبعة عشر * على الذي يختاره من اختبر) . وبحكمة الله عز وجل وتقديره تأثر العلماء بكلامه وجزوا على تقسيمه إلى عصرنا الحاضر⁽¹⁾.

ب - تحليل المعلومات الواردة عن الفريق الثاني والثالث:

تشير المعلومات الواردة في نصّ ابن الجزري عن هذين الفريقين عدداً من التساؤلات، منها:

أولاً : مَنْ مِنَ القراء والنحويين ذكر أن مخارج الحروف ستة عشر مخرجاً؟

أولهم: سيبويه⁽²⁾. وتابعه: ابن جنّي⁽³⁾، ومكي⁽⁴⁾، والداني⁽⁵⁾، والقرطبي⁽⁶⁾، وأبو العلاء الهمداني⁽⁷⁾، وغيرهم. وجميعهم علماء أفذاذ من أهل التحقيق في علوم العربية والتجويد والقراءات .

ثانياً : هل ذكر الفراء وابن دريد والجزمي صراحةً أن المخارج أربعة عشر مخرجاً ؟

اشتهر هذا القول في كتب التجويد، ويعدّ الإمام الداني أقدم الذين ذكروه⁽⁸⁾ وتبعه فريق من أهل التجويد والقراءات⁽⁹⁾، ومنهم إمامنا ابن الجزري؛ غير أنّ اللافت للنظر أنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي - وهو من فريق إمامنا الجزري - جعل هذه

(1) ينظر: شرح طيبة النشر للنويري 1/ 227، وتنبيه الغافلين للصفاقسي ص35، وبغية المستفيد لابن بلبان ص27، وهداية القاري إلى تجويد كلام الباري للمرصفي ص63، ومدخل في علم القراءات لسيد رزق الطويل ص121، ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ص277.

(2) الكتاب 4/ 176 و 434 . وأضفت الخيشوم لأنّه جعل المخرج السادس عشر للثون الخفية، وهو يريد الخيشوم.

(3) سر صناعة الإعراب 1/ 46 .

(4) الرعاية ص 144 .

(5) التحديد ص 102 .

(6) الموضح ص 77

(7) التمهيد ص 277 .

(8) ينظر: التحديد في الإتقان والتجويد ص111.

(9) ينظر: إبراز المعاني شرح حرز الأمانى 1/ 746، وسراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي ص406 .

الثلاثة جميعاً من طرف اللسان، كما فعل الفراء وقطرب والجرمي، قال: "منها ثلاثة ذُولَيْيَّة: (ر ل ن)، تَخْرُجُ مِنْ دَلِقِ اللِّسَانِ مِنْ طَرَفِ غَارِ الفَمِ" (1). وتابعه الرازي (2).

ومن اللافت للنظر - أيضاً - أن الفراء في كتابه جعل اللام والنون قريبتين المخرج (3)، وهو قولٌ يَنْقُضُ الكلامَ المنقولَ عنه من جعلها أربعة عشر مخرجاً، إلا إذا لاحظَ المخارجَ الجزئية، أي: لكلِّ حرفٍ مخرجٌ خاصٌّ به، بدليل قوله في موضع آخر من كتابه أن الطاء أقربُ إلى التاء في المخرج من الطاء والذال والتاء، مع العلم أن الطاء والتاء والذال من مخرج واحد، فهذا نظيرُ ذلك. وذكر ابن دريد مذهبي الخليل وسيبويه في المخارج، ولم يرجح بينهما وقال: "ذكر قومٌ من النحويين أن هذه التسعة والعشرين حرفاً لها ستة عشر مجرى" (4)، ولم يصرح أنها أربعة عشر مخرجاً، والله أعلم.

ثالثاً: لماذا ذكر الإمام ابن الجزري الخليل ومكياً والهنلي وشريحاً أنهم من أهل التحقيق، وذكر من أسماء علماء الفريق الثالث، على حين أنه أغفل ذكر سيبويه وابن السراج والداني والقرطبي والهمداني والشاطبي من الفريق الثاني مع أنهم لا يقلون رتبة عن الفريق الأول في التحقيق؟

في ظني أنه لو ذكر أسماءهم صراحةً لضعف الاستدلال لترجيحه واختياره؛ لتحقيقهم وقوة علمهم وشهرة مذهبهم، بل صرح علماء هذا الفريق بأن مذهب الستة عشر مخرجاً - وصاحبه سيبويه - هو الصحيح، وهو الذي يشهد له الاختبار والتأمل بصحته، قال ابن جني: "فهذا هو ترتيبُ الحروفِ على مذاقيها وتَصَعُّدُها... ممَّا رتبَّه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصوابُ الذي يشهدُ له التأملُ بصحته" (5).

وقال الداني: "اعلموا أن قُطِبَ التجويد وملاك التحقيق معرفةُ مخارج الحروف وصفاتها التي بها يَنْفَصِلُ بعضها من بعض وإن اشترك في المخرج. وأنا أذكر ذلك على مذهب سيبويه خاصة؛ إذ هو الصحيح المعول عليه، إن شاء الله تعالى" (6).

وقال القرطبي: "أمَّا تحقيقُ نواتها وذكُرُ مخارجها، وتبيينُ أجناسها، وذكُرُ مراتبها في الإطرادِ فنذكرُ على ما ذكره سيبويه - رضي الله عنه - ورتبَّه... وتلاه أصحابه وغيرهم من المتأخرين عليه؛ لأنه المعتمد" (1).

(1) العين 1 / 51 .

(2) الزينة ص 64 .

(3) ينظر: معاني القرآن 1 / 172 .

(4) ينظر: الجمهرة 1 / 45 .

(5) سر صناعة الإعراب 1 / 45 - 46 .

(6) التحديد ص 102 .

وهذا يعني أنّ إغفال أسمائهم كان مقصوداً من الإمام ابن الجزري رحمه الله تعالى. ولعلّ السبب في ذلك أنه في عصور الضعف العلمي والتقليد يصعب جداً أن يقنع الإنسان الآخرين باختيارٍ اختاره أو اجتهدٍ صنعه، وخاصةً أنّه تقدّم في سبب تأليف الكتاب شكوى الإمام ابن الجزري - رحمه الله تعالى - من ضعف أهل عصره في التحقيق في علم القراءات والتجويد .

رابعاً : هل يوحي كلام الإمام ابن الجزري أنّ الفريق الثاني والثالث لم يدركوا الطبيعة المدية لحروف المدّ بحيث لم ينسبوها إلى المجرى الصوتي كلّ كما فعل هو؟ وهل يتفق معه في ذلك؟

الظاهر أنه يصحّ هذا القول في باب مخارج الحروف عندهم، ويدلّ عليه قوله في النصّ: "فَأَسْقَطُوا مَخْرَجَ الْحُرُوفِ الْجَوْفِيَّةِ الَّتِي هِيَ حُرُوفُ الْمَدِّ وَاللَّيْنِ" . ولكنّ هذا الفريق كان مدركاً تماماً لطبيعة هذه الأحرف فالألف تبقى مديةً، والواو والياء يتخذان طبيعةً مزدوجةً في الكلام العربيّ تدور بين المدية وغير المدية.

فمثلاً: تلقب الخليل حروف المدّ ب: (الهاوية) - كناية عن اتّساع مخارجها وحرية مرور الصّوت فيها⁽²⁾ ، وهو من أصحاب الفريق الأوّل، فريق ابن الجزري - ترجمه سيبويه - وهو من أصحاب الفريق الثاني - بقوله عن طبيعة هذه الحروف: "وهذه الحروف غير مهموساتٍ، وهي حروف لينٍ ومدّ، ومَخَارِجُهَا مَتَسَعَةٌ لِهَوَاءِ الصَّوْتِ، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجٍ منها، ولا أمدّ للصّوت، فإذا وقفت عندها لم تَضُمَّهَا بِشَفَّةٍ وَلَا لِسَانٍ وَلَا حَلْقٍ كَضَمِّ غَيْرِهَا، فِيهِوِي الصَّوْتُ إِذَا وَجَدَ مَتَسَعًا حَتَّى يَنْقَطِعَ آخِرُهُ فِي مَوْضِعِ الهمزة"⁽³⁾.

المطلب الرابع: تقييم النصّ والحكم عليه

هناك أدوات ومؤشرات قياس يلزم معرفتها قبل إصدار حكمٍ عادلٍ على النصّ:

أولاً: العوامل التي ساعدت في إنتاج النصّ:

أ - العامل الزمني: عرض الإمام ابن الجزري لمذهبه في عدد مخارج الحروف بعد استقرار رأي الفريق الثاني (16 مخرجاً) لعدة قرون إلى عصره . فكان يلزم الإمام ابن الجزري أن يبحث عن علماء من ذات الفترة وينصر بهم مذهبه. ونلاحظ أن

(1) الموضح ص77 .

(2) العين 57/1 . وقال في 58/1: والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد لأنها لا يتعلّق بها شيء.

(3) الكتاب 4/176 .

غالب العلماء المذكورين صراحةً في النصّ، لم تتجاوز وفياتهم القرن الخامس الهجري .

ب - العامل المكاني: وأقصد به البيئة العلمية التي عاش فيها الإمام ابن الجزريّ، واستعداد الناس لقبول آراء جديدة .

ج - العامل الشخصي: وأعني به مكانة الإمام ابن الجزري في عصره، وظهور شخصيته العلمية المستقلّة في التفكير والاستنباط، ساعد في قبول رأيه . وأنّ مذهب الإمام ابن الجزري هو مذهب رابعٍ مركّبٍ من كلام الخليل وسيبويه، وأنّ غالب العلماء الذين استعان بهم نصرّوا رأيه في مخرج حروف المدّ فقط، وتفاوتوا في عرض مخارج الحروف في كتبهم كما تقدّم .

ثانياً : مراعاة اختلاف التوصيف بناء على غرض المؤلّف من التأليف

من الأمور التي يلزم مراعاتها عند التقييم تنوع أغراض المؤلّفين في عرض المعلومات، فالخليل بن أحمد الفراهيديّ غرضه معجميّ في كتابه العين يحقّق فيه أصول الكلمات، فذلك نسب الألف والواو والياء والهمزة إلى الجوف . وأما سيبويه فغرضه صوتيّ صرفيّ ينظر فيه إلى تأثر الحروف ببعضها، فذلك نسب حروف المدّ إلى مخارج الحروف الصحيحة . وأما الجزريّ فغرضه صوتيّ أدائيّ يتعلّق بمشاهدة القرآن العظيم، ففرّق بين حروف المدّ وغيرها . ونلاحظ الفرق في الأداء بين التقاء الواوين في: ﴿ءامنوا وعملوا﴾ عنه في: ﴿ءأوا ونصّروا﴾ .

ثالثاً: التوفيق بين المذاهب الثلاثة بناء على غرض التأليف وتدوّن الحروف

من الأمور المهمة التي يلزم مراعاتها عند محلّل النصّ أن يوفّق بين الآراء ما وجد إلى ذلك سبيلاً ، فالتوفيق بين الفريقين الأول والثاني - وهما المحور الذي يدور حولهما النصّ - يكون بملاحظة أنّ سيبويه ومن تابعه نظروا إلى حركة عضو النطق فنسبوا مخارج الحروف إليها بما في ذلك حروف المدّ، وهم مدركون لطبيعتها، قال سيبويه عن حروف المدّ: "ومخارجُها متسعةٌ لهواء الصّوت، وليس شيءٌ من الحروف أوسعَ مخارجَ منها، ولا أمدّ للصّوت، فإذا وقفتَ عندها لم تضمّمها بشقّةٍ ولا لسانٍ ولا حلقٍ كضمّ غيرها؛ فيّهوي الصّوتُ إذا وجدَ مُتّسعاً حتى ينقطعَ آخره في موضع الهمزة" (1) اهـ.

تأمل قوله: "لم تضمّمها ... كضمّ غيرها"، فمن أجل هذا الضغط الضعيف للهواء في الشفتين واستدارتهما عند إخراج الواو المدية نسبها إلى الشفتين، ومن أجل الضغط

(1) الكتاب 4 / 176 .

الضعيف للهواء من وسط اللسان في مخرج الياء المدية نسبها إلى وسط اللسان، ومن أجل عدم ملاحظة أيّ ضغط للهواء في مخرج الألف المدية نسبها إلى أقصى الحلق؛ منطقة بدء التصويت؛ أي الحنجرة .

أما إمامنا ابن الجزري فلم يرتض هذا المسلك من الذين سبقوه، **ولاحظ جريان الصوت**، فمن أجل ذلك فرّق بين حروف المد وغيرها. ومن أجل هذه الملاحظة بُني هذا النصّ .

وأما اللام والنون والراء فإنّ لمذهب الفريق الثالث وجهةً لا تقلُّ شأنًا عن مذهب الذين جعلوها ثلاثة. وقد تقدم ذلك في المطلب الثالث عند تحليل المعلومات الواردة في النصّ، فيرجع في ذلك إلى الذائقة والتأمل في مخرج الحرف والاختلاف في التوصيف عند العلماء؛ بما لا يؤثر على النطق، والله أعلم.

الخاتمة ونتائج البحث

حاولت هذه الدراسة المختصرة أن تقدم نموذجاً عملياً في تحليل النصوص في كتب التجويد والقراءات، فدرست المؤلف حياته ومكانته في عصره وثقافته، ثم اتجهت إلى تأطير كيفية التحليل من اكتشاف مشكلة النص والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها والأفكار العميقة التي يتضمّنها، ثم قراءة تحليلية مباشرة للنصّ، فقراءة أخرى معمّقة له، وخرجت بمجموعة من النتائج أبرزها:

1. أنّ صناعة تحليل النصوص هي من أهم الأدوات التي تساعد على الكشف عن كيفية بناء النصّ وهندسته وعمارته، ويعدّ باب مخارج الحروف في كتاب النشر مثلاً تطبيقياً واقعياً للعناصر الواقعة في تحليل النصوص والحكم عليها، من السبّك، والالتحام، والقصد، ورعاية الموقف، والقبول، والتناص، والإعلام، وظهر ذلك جلياً في لغة النصّ وتقسيماته ووسائل الإقناع والترجيح عند الإمام ابن الجزريّ.
2. أنّ فهم الناس للنصوص يتفاوت حسب رصيدهم المعرفي ما بين مقتصر ومقتصد ومتبحّر. والمقصود من صناعة تحليل النصوص أن يمتلك القارئ ثقافة تخصّصية في النصّ الذي يتناوله (التبحّر فيه)، فهناك معاني معلنة مباشرة صريحة في النصّ، وهي أقلُّ بكثير من المعاني المبطّنة والأفكار العميقة، يعني أن ما يُكتب تلميحاً بين السطور يفوق بكثير ما يُكتب تصريحاً فوق السطور.
3. أنّ علاقة علماء النحو واللغة بعلماء التجويد والقراءات هي علاقة تلازم وتشاركٍ بدليل هذا النص الذي اشترك فيه طوائف من علماء النحو والتجويد والقراءات .
4. أنّ مذهب السبعة عشر مخرجاً مذهبٌ جديدٌ ركبّه الإمام ابن الجزريّ من مذهبي الخليل وسيبويه؛ إذ أخذ من الخليل فقط نسبته الألف والواو والياء إلى الجوف،

وترك باقي المخارج - باستثناء حروف المدّ - كترتيب سيوييه، فتكملت المخارجُ عنده سبعة عشر، وذلك بإضافة الجوف إلى الستة عشر مخرجاً.. وبحكمة الله عز وجل وتقديره تأثر العلماء بكلامه وجرّوا على تقسيمه إلى عصرنا الحاضر.

5. أن اللّغة التي استعملها الإمام ابن الجزريّ رحمه الله تعالى في النصّ مارستُ نوعاً من السّلطة العلمية النّاعمة على قارئ النصّ، وأنه - رحمه الله تعالى - استعمل وسائل عدة من طرائق المعرفة في سبيل إقناع القارئ بمذهبه .

6. أن هناك عوامل عدة يلزم مراعاتها قبل إصدار حكم عادلٍ على صاحب النصّ، منها: العامل الزماني، والعامل المكاني، والشخصي، ومراعاة اختلاف التوصيف بناء على غرض المؤلّف من التّأليف، والتوفيق بين الآراء المختلفة ما وجد محلّ النصّ إلى ذلك سبيلاً .

وأخيراً يعدُّ ابن الجزريّ في النصّ المحلّل من فئة العلماء الهاضمين لمعارف من سبقهم من العلماء، المنظّمين لها، والبانين عليها، والمستفيدين منها في ضمّ النظر إلى النظر والترجيح بينها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المراجع

1. إبراز المعاني شرح حرز الأمانى، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسيّ (ت 665هـ)، تحقيق ابراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.
2. أسباب حدوث الحروف، لأبي عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428 هـ)، تحقيق محمد حسان الطيان و يحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط1، 1403 هـ = 1983 م.
3. أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية، فاخر عقل، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1982.
4. أصول المعايير النصية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، عبد الخالق فرحان شاهين، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية، جامعة الكوفة، العراق، 1433 هـ = 2012 م.
5. الأعلام، خير الدين الزركلي، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1989 م.
6. إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلانيّ (ت 852 هـ) تحقيق حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ط1، 1389 هـ = 1969م.
7. انفتاح النص الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي الغربي، بيروت - لبنان، ط2، 2001م.
8. الأيوبيون بعد صلاح الدين، عليّ الصلابي، ص936، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1431 هـ = 2010م.
9. بغية المتلمس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبيّ (ت 599هـ)، دار الكاتب العربي - القاهرة، ط1، 1967 م.
10. بغية المستفيد في علم التجويد، محمّد بن بدر الدين بن عبد الحق ابن بلّبان الحنبلي (ت 1083 هـ)، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1422 هـ = 2001 م.
11. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
12. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، تأليف د. حسن إبراهيم حسن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط7، 1964 م.
13. تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.

14. التحديد في الإتقان والتجويد، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان - الأردن، ط2، 1420 هـ = 1999 م.
15. التحديد في الإتقان والتجويد، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، الأردن، ط2، 1436 هـ - 2015 م.
16. تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، محمد مفتاح، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء - المغرب، ط3، 1992 م.
17. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
18. ترتيب العلوم للمرعشي الشهير بساجقلي زادة (ت 1145 هـ / 1733 م) ص104، تحقيق محمد السيد حسن، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
19. التمهيد في علم التجويد، محمد بن محمد الشهير بالجزري (ت 833 هـ)، تحقيق علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405 هـ - 1985 م.
20. تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي (ت 1118 هـ)، نشر مكتبة الثقافة الدينية (دون تاريخ طباعة).
21. جامع أسانيد ابن الجزري، محمد بن محمد الشهير بالجزري (ت 833 هـ)، تحقيق حازم بن سعيد حيدر، مطبوعات كرسي تعليم القرآن الكريم وإقرائه رقم (6)، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1435 هـ - 2014 م.
22. جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت 321 هـ)، دار صادر، بيروت. دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح
23. الرّعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437 هـ)، تحقيق: أحمد فرحات، دار عمار، عمان - الأردن، ط2، 1404 هـ = 1984 م.
24. الزينة في الكلمات الإسلامية العربية، لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي (ت 322 هـ)، علّق عليه: حسين بن فيض الله الهمداني، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط2، 1957 م.
25. سرّ الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (ت 466 هـ)، شرح وتصحيح عبد المتعال الصّعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، 1389 هـ = 1969 م.
26. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ)، تحقيق: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق - بيروت، ط1، 1405 هـ = 1985 م.
27. سراج القارئ المبتدي وتذكار القارئ المنتهي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط3، 1373 هـ - 1954 م.

28. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.
29. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد العكري الحنبلي، (ت 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م.
30. شرح طيبة النشر في القراءات العشر، محمد بن محمد الشهير بالجزري (ت 833هـ)، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1424 هـ = 2003 م.
31. علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، 1424 هـ - 2004.
32. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1408 هـ = 1988 م.
33. غاية النّهاية في طبقات القراء، شمس الدين محمد الجزري (ت 833 هـ)، نشر ج. برجستراسر، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط3، 1402 هـ = 1982 م.
34. الكامل في القراءات الخمسين، أبو القاسم يوسف بن عليّ بن جبارة الهذليّ، تحقيق عمر يوسف حمدان، كرسي الشيخ يوسف جميل للقراءات بجامعة طيبة، ط1، 1436 = 2015 م.
35. كتاب سيبويه، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر (ت 180هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403 هـ = 1983 م.
36. مدخل في علوم القراءات، السيد رزق الطويل (ت 1419هـ)، المكتبة الفيصلية، ط1، 1405 هـ = 1985 م.
37. المسكوت عنه في التراث البلاغي، محمد محمد أبو موسى. مكتبة وهبة - القاهرة، 1438 هـ = 2017 م.
38. معاني القرآن، يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار.
39. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ياقوت الحموي (ت 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993 م.
40. معجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة الدمشقي (ت 1408هـ)، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت (دون تاريخ طبع).
41. مفاتيح العلوم، محمد بن أحمد الخوارزمي (ت 380هـ)، دار المناهل بيروت، ط1، 1411 هـ = 1991 م.

42. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت 548هـ)، مؤسسة الحلبي، دون تاريخ طبع .
43. الممالك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام، شفيق جاسر أحمد محمود، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الحادية والعشرون - العددان الواحد والثمانون والثاني والثمانون - المحرم - جمادى الآخرة 1409هـ.
44. منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، عبد القادر بن أحمد بن بدران (ت 1346هـ)، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - بيروت، ط2، 1405 هـ = 1985م.
45. الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي (ت 461هـ)، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان - الأردن، ط1، 1421هـ = 2000م.
46. النثر في القراءات العشر، لشمس القراء محمد بن الجزري (ت 833 هـ)، أشرف على مراجعته الشيخ العلامة محمد علي الضباع، دار الكتاب العربي.
47. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح بن السيد عجمي المرصفي المصري الشافعي (ت 1409هـ)، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط2 (دون تاريخ).
48. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المعروف بابن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681هـ)، إحسان عباس، دار صادر - بيروت، عدة طبعات .